Available online at https://faau.journals.ekb.eg/

SCREENED BY iThenticate Professional Plagiarism Prevention

Faculty of Arts Journal

Print ISSN: 2786-0108
Online ISSN: 2786-0116

THE STRUCTURE OF SPACE IN APPEALS FOR HELP IN ANDALUSIAN PROSE: A THEMATIC AND ARTISTIC STUDY

Musa M.I. Meray, Yasser E.A. Omara

Dept. Arabic Lang. and Literature, College of Arts and Humanities,
Jazan Univ., Kingdom of Saudi Arabia.

ABSTRACT:

Andalusian prose discourse has been relatively overlooked in academic studies despite its richness and diversity of themes. Among its most significant forms is the literature of *appeals for help* (*istinjād*), addressed to kings, princes, and notable figures who were expected to embody valor and magnanimity by responding to urgent calls to rescue the people of al-Andalus from the numerous trials and calamities inflicted upon them by their enemies. These appeals targeted both the collective Andalusian community and individuals who suffered afflictions such as displacement, devastation, and death. Within this supplicatory and urgent discourse, *space* held a distinct presence, as it represented the locus of those afflicted, the arena first subjected to devastation and destruction, and the entity most visibly marked by ruin. Particularly significant were the historical spaces—major cities, palaces of governance and caliphate, and places of worship—that endured calamities and aggression. Thus, the afflicted Andalusian space emerged as a dynamic arena of war, conflict, and human suffering, deeply intertwined with the emotions, memories, and lived experiences of its inhabitants. It encompassed cities, fortresses, and sanctuaries that once embodied joy and prosperity, yet later bore witness to catastrophe and tribulation. This study adopts a descriptive-analytical method, drawing upon rhetorical and critical tools, in order to deconstruct this discourse both thematically and artistically, thereby uncovering its meanings and the unique features of its composition.

Keywords: Appeal for help (*istinjād*), spatial structure, Andalusian letters, artistic, thematic.

بِنْيَةُ المَكَانِ في رَسائِلِ الإسْتِنْجَادِ في النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيّ: دِراسَةٌ موضُوعيَّةٌ فنّيَّةٌ

موسى محمد عيسى مرعي، ياسر السيد أحمد عمارة

قسم اللُّغَة العربيَّة وآدابها، كليَّة الفنونِ والعُلوم الإنسانيَّة، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.

المُلَخَّصُ:

يُعَدُّ خِطابُ النَّثْرِ الأَنْدَلُسِيّ من الخطاباتِ المهضومةِ في الدّراسات الأكاديميَّة، مع ثرائِهِ، وتنوّع موضُوعاتِهِ، ولعلَّ أدبَ رَسائِلِ الإسْتِنْجَاد مِن أغنى هذه الخطاباتِ النَّثْريَّةِ التي يُخاطبُ بها الملوكُ والأُمراءُ والأعيانُ ممَّن يتوسّم فيهم النَّجدة والمروءةُ، لإجابةِ النِّداءِ الدَّاعي لإنقاذِ أَهلِ الأَنْدَلُس ممَّا نزلَ بهم من محن ومصائب جمَّة على يد أعدائِهِم؛ سواءٌ على مستوى الأَنْدَلُس العامّ، أو على مستوى حلَّ بالأفرادِ من البلايا والخطوب والقتل والتّشريدِ...إلخ. ومن ثَمَّ؛ فقد كان للمكانِ حضُورهُ في هذا الخطابِ الاستغاثيّ الاستنجاديّ؛ لكونِه محلّ هؤلاء المنكوبين، وسابقهم إلى الامتحانِ بالبلاءِ والتّدمير، وألحقهم بالأذى، وأظهرهم بالتّخريبِ، لاسيَّما تلك الأماكن التّاريخيَّة من المدُن الكبرى، وقصُور الحكْمِ والخلافة، وأماكن العِبادةِ ممَّا تعرَّض للنَّكباتِ والاعتداء. وهكّذا شَكَّلَ المكان الأندلسِيّ المنكُوب فضَاءً للتَّفاعلِ والصِّرَاع الحربيّ، في خطاب الاستغاثة والاستنجادِ بما يتّصل به من مشاعر قاطنيهِ، وذكرياتهم، وما يمتزج به من مدُنٍ، وحصونٍ، وأماكن عبادة، شكّلَت في مجملها حياتهم الماضية بما شملتهُ من مسرّات، وحياتهم وقت النَّكبةِ، وما حلَّ بها من ابتلاءاتٍ. وقد عمدْتُ إلى تفكيك هذا الخطابِ موضُوعيًّا وفنيًّا بمنهجٍ وصفيّ تحليليّ يستعين بأدوات الدّرس البلاغيّ والنَّقديّ للوقوف على فحوى الخطاب، وخصائص تكوينهِ.

الكلماتُ الاسترشادية: الاستنجاد، بِنْيَة المَكَان- الرّسَائِل الأَنْدَلُسِيَّة، فنيَّة، موضوعيَّة.

المُقَدِّمَةُ

- **دوَافِعُ البَحثِ:**

لا يمكن أن نخفي أن ثمة دوافع عاطفيَّة تكون مضمرة داخلنا قبل الدّوافع الموضوعيَّة العلميَّة؛ فقد أحزنني ما مرَّت بهِ بلادُ الأَنْدَلُسِ الجريحةِ في عصور الفتنِ والابتلاءاتِ، وما انتهى بها الأمر من نكباتٍ ودمارٍ دعتْ إلى استغاثاتهم واستنجادهم بمن جاورهم من إخوانهم الذين التمسوا فيهم أسباب القوَّة والمنعة والنَّجدة في رَسائِل نثريَّة اِسْتِنْجَاديَّة، شكّلت خطابًا مائزًا، اتَّسمَ بلغته الأدبيَّة التي تكشف عن مدى حزنهم، وآلامهم، ومصابهم، وما نجم عن هذه المحنة من كوارث ومحنٍ.

وقد تآزرت الأساليب الخبريَّة والإنشائيَّة لإبراز هذه المشاعر، والتّعبير عن هذه المحنة، كما حفل الخطاب بموجبات التّنوير من صورٍ بلاغيَّةٍ متنوّعةٍ، وإيقاع موسيقيّ أخَّاذٍ؛ ممَّا شحن هذا الخطاب الرّسائليّ النّثريّ؛ فاستحقّ هذا الخطاب الدّراسة، وبخاصَّة ثيمة المكان التي سيطرتْ على بنيةِ الخطابِ.

وهكذا غدت دراسة المَكَان حاجة ملحَّةً؛ إذ منه انطلقت تلك الرّسَائِل باحثةً عن نجاة أهلِ الأَنْدَلُس، ونجدتِهم، وحمايَتِهم ديارهم، ومقدّساتهم، ومواردهم الاقتصاديَّة، وحدودها، وقواعدها الحربيَّة وبنيتها التَّحتيَّة، وما اتّصل بها من مرافق حيويَّة.

ومن ثمَّ؛ فقد حرصت على دراسة بنية المَكَان الأندلسيّ في خطاب الاستنجاد من خلال تلك الرّسَائِل التي انبعثت من نفوسٍ توَاقَّة إلى عون إخوتهم في شتّى بقاعِ العالم الإسلاميّ.

- **إشكاليَّةُ البحثِ:**

كيف تجلت بِنْيَة المَكَان في خطاب رَسائِل الاِسْتِنْجَاد والاستغاثة الأندلسيّ؟

- **مادّة البحث وأهميّته:**

جمعتُ رَسائِل الاِسْتِنْجَاد؛ عامَّة وخاصَّةً من مصادر التُّراث الأَنْدَلُسِيّ العامَّة التي أرّختْ لأدبِ الجزيرة من بدايةِ الفتحِ إلى سُقوطِها، مُرورًا بعصورِ الإمارةِ، والخلافَةِ، وعصر مُلوكِ الطَّوائفِ، وعَصرَي المرابطينَ، والموحِّدينَ، إلى عهد بني الأحمر آخر ملوك الأَنْدَلُسِ، ومَكَانهم الأبرز غَرْناطَة آخر معاقل المسلمين في الأَنْدَلُسِ.

وترجع أهميَّة الدّراسةِ في محاولتها الرّبطَ موضوع هذه الرّسائلِ في هذا الخطابِ الاستغاثيّ، وقيمها الفنيَّة التي ميّزت هذا الخطاب بميزاتٍ بلاغيَّة وأُسلوبيَّةٍ.

- **منهجُ البحثِ:**

عمدْتُ إلى تفكيك هذا الخطابِ موضُوعيًّا وفنيًّا بمنهجٍ وصفيّ تحليليّ يستعين بأدوات الدّرس البلاغيّ والنَّقديّ للوقوف على فحوى الخطاب، وخصائص تكوينهِ في مقاربة موضُوعيَّة فنّيَّة، تبدأ بدراسة المَكَان موضوعيًّا، وبيان أهميَّتِهِ ودورهِ سياسيًّا، وتاريخيًّا، ودينيًّا، واقتصاديًّا؛ إذ المدن المنكوبة، والحصون المسلوبة، والأماكن المقدَّسةِ؛ كالمساجدِ والصَّوامع تشكّل هذا الخطاب وتوجّهه، بل تنطلق بالأساس منه؛ لذا استوجب ذلك دراسته موضوعيًّا وفنّيًّا، بكشف خصائصهِ الأُسلوبيَّةِ، وبيانِ تأثير الصُّورةِ الفنيَّةِ، وسمات لغة الخطابِ، والموسيقى الخارجيَّة والدَّاخليَّةِ.

- **خُطَّةُ البحثِ:**

قسّمتُ هذه الدّراسة إلى مبحثينِ مستقلّين، ينقسم كلّ مبحث إلى مطالبَ، تحدّدها طبيعتهُ، قبلهما مقدّمة وتمهيدٌ وبعدهما خاتمةٌ وثبت بالمصادر والمراجع. درستُ في المبحث الأوّل المَكَان المفتوح؛ أعني به الأماكنَ الخارجيَّة أو العامَّةَ؛ كالمدنِ المنكوبة المستنجدة المستغيثة، وعالجتُ في المبحث الثّاني المكان المغبق؛ كالحصونِ، والسّجونِ، والقلاع، وأماكن العبادةِ، والدّور ومحلّ السّكنى.

- **تمهيدٌ:**

المكان هو أحد الثَّوابت التي ترتبطُ بوجود الإنسان؛ فلا إنسانَ بلا مكانٍ، ولا يقتصرُ هذا الأمرُ على الإنسانِ، بل هو الوعاء الذي يضمُّ الإنس والجنّ، والحيوان، والنّبات، والطّيور، وسائر الكائنات الحيَّة؛ ممَّا يجعلها أكثر ارتباطًا به، وانتماء إليه.

ومن ثمَّ؛ يؤدّي المكان الدّور الأعظم في الدّينامِيَّة الإنسانيَّة التي تمثّل القيم الكُبرى منذ مهد الإنسان الأوَّل، ويظلُّ هذا الارتباط الأبديّ حتّى الإنسان الأخير في رحلة الحياة الإنسانيَّة؛ ممَّا يدفع كلّ إنسانٍ للارتباط بمكان نشأته، ووطنه، واستعداده لأن يبذل كلّ غال ونفيسٍ من أجله، والدّفاع عنه، ونجدته في حال تعرّضه للضّياع، أو الفقد أو الغزو؛ وهو ماحدث لكتّاب الرّسائل الأندلسيَّة حين تعرّض وطنهم، ومدنهم، وأماكن معيشتهم، ونشأتهم، ومهد آبائهم، وأرض دينهم الحنيف إلى الغزو، والاحتلال، وما تبع ذلك من تشريدٍ لأهلها، والتّنكيل بهم؛ ممَّا يدفعهم للاستنجاد بجيرانهم، وإخوانهم لإغاثتهم، ونجدتهم.

Faculty of Arts, Arish University

وتتبدَّى أهميَّةُ المكان وتنداح في دوائر متداخلة، يصعبُ حصرها، لكونها تتعرّض لصراع وجودٍ أو عدمٍ، وتنشأ عن الإحساس الملازم للانتماء للمكانِ؛ لكون هذا المكان رحمًا يتّصل به، لا يفتأ في غيابه أن يحتضن كلّ لحظات النّشأة، والتّكوين، والتّطلّع لاسترداده، ونجدته وقت تعرّضهِ للخطرِ[١].

وبناء على هذا الارتباط؛ فلا يمكن فصل المكان عن الزّمانِ؛ ممَّا أوجد مصطلح الزّمكانيَّةِ، التي تربط الإنسان بالمكان، والأحداث، والتّأثيرات، والنّزاعات، والصّلح، والضّياع، والفقد، والذّكريات بكلّ ألوانها، وتباينها؛ ممَّا يجعل دراما الحياة؛ ممَّا جعل للمكانِ دورَه في تشكيلِ الأدبِ الأندلسيّ شعره ونثره؛ كما نجدُ لدى لسان الدّين بن الخطيب في شعره ونثره، وكتبه التي أفردها لهذا المكان الذي كان جنة الله في الأرض؛ فصار الفردوسُ المفقود؛ ممَّا أوجد نزعةً دراميَّة في هذا الأدب، يشتبك فيها المكان بالزَّمانِ، والشَّخصيَّاتِ، والأحداثِ[٢].

وقد التفت الباحثون إلى النّزعة القصصيَّة السّرديَّة في خطابِ رسائلِ الاستنجادِ الأندلسيَّةِ، وسيطرة الإيقاع السّريع لهذا السَّردِ المكثّفِ الذي يحكي فترات الضّياعِ، والفقدِ، أكثر من الإحساس بالاستقرارِ، والهدوءِ، وما يتّصل بمشاعر الطّفولة والشَّباب، وإن كان يستثمر ذلك كله في التّنوير العاطفيّ؛ ممّا أوجد أهميَّة خاصَّة للمكانِ عامَّةً في السّرد المسيطر على النّثر الأندلسيّ عامَّةً[٣]، وفي سرد هذه الرّسائل الاستنجاديَّة خاصَّةً.

فقد غدا المكان ذا قيم روحيَّةٍ، تمتزج بآمال الإنسانِ، وأحلامهِ، وذكرياتهِ، وأطلاله الجسديَّةِ والرّوحيَّة؛ ممَّا يجعل من المكان جسدًا، ومن الجسد مكانًا؛ وهو ما يجعل للإنسان، أيضًا، أطلالًا داخليَّة تربطه بماضيه، وحضوره، وفقده، فتحول المكان من مجرد فراغ للحياة والنّفع والجوانب البراجماتيَّة المتّصلة بوجوده إلى علاقة رُوحيَّةٍ تتعالى على الجانب النّفعيّ إلى المكان الوجوديّ الذي يخالط أحاسيس الإنسان، ومشاعره، في كلّ لحظات الوجود، وفي كلّ لحظات الإحساس بالعدم، أيضًا[٤].

ولهذا التّضافر بين الموضوعيّ والفنّيّ فسوف أتوقّف عند مركزيَّة المكان في خطاب رسائل الاستنجاد الأندلسيَّة لدراستها في محورين انتهى نقاد الأدب في تقسيمهم المكان إليهما؛ أعني المكان المفتوح؛ كالمدن والجبال والسّاحات، والمكان المغلق؛ كالقلاع، والدّور، والمساجد، وأمان العلم، واللّهو، ومراتع الصّبا والشّباب التي تستصير حميَّة المستنجد بهم.

المبحَثُ الأوَّلُ

المَكَان المفتوحُ

المَكَانُ المفتوحُ هو الفضاءُ الواسعُ الذي لا يحدُّه حدودٌ من جدرانٍ تحيّزه، أو أسوار تؤطّره؛ يعني الأماكن الخارجيَّة أو العامّة؛ مثل: الصَّحارِي، والسُّهول، والبِحارِ، والأنهار، وكالمدنِ، والسَّاحاتِ، والطُّرقاتِ العامَّةِ، وقد شكَّلتْ ثيمَةُ المَكَان بنيةَ خِطابِ الاستغاثة والاستنجاد في الرّسائل الأندلسيَّة، نَلمسُها في البِنى اللُّغويَّةِ التي اعتمدَ عليها الكُتَّابُ الأندلسيُّون في رَسائِلهم.

ومن ثمَّ؛ فقد غدت رَسائِل الإسْتِنْجَاد ذات تعلُّقٍ كبيرٍ بالمَكَان الأَنْدَلُسيّ، الذي أحبُّوهُ، وعاشوا فيه قرونًا عدَّةً، ثمّ أُخرجوا منه قهرًا، لا لسببٍ سوى أنَّهم مسلمونَ، يحبُّون دينَهُم، ويبتغُون العزّة بعبادَة ربّهم؛ لذا فقدْ عاشُوا أعزَّةً بنشرهِم الدّين الإسلاميّ، وبأخلاقِ الإسلَامِ الرَّاقية، التي حثَّتهم لتشييدِ الحضارة العظِيمة، التي شهدَ لها التَّاريخُ، صارت لهم شواهدُ لا تُمحى؛ كقصر الحمراءِ، وجامع قُرْطُبَة وغيرهما.

وما فتئتْ معالمُ حضارتهِم تلكَ، تنطقُ بجهُودِ أهْلهَا، وما زالتْ أوروبا تعيشُ على فضلِ تلكِ الحضَارةِ، التي أفادتْ منها، واقتبستْ، ونسختْ عُلُومًا شتَّى؛ كالطِّبِّ، والهندسةِ، واللُّغَةِ، والأدَبِ، وكثيرٍ منَ العُلُومِ المختلفةِ، ولا سيَّما الفلسفةُ، وعلومُ اللُّغةِ.

وعودًا على بدءٍ؛ فقد مرَّتِ الأَنْدَلُس وأهلُها بمحَنٍ كَثيرةٍ على المستوَى العامّ والخاصّ، ونقلَ كُتَّابُ رَسائِل الإسْتِنْجَاد حبَّهم الصَّادق لهذا المَكَان الذي عاشُوا فيه، ووصف بالفردوس، ثمَّ غدا فردوسًا مفقودًا، إلى أن تَعَرَّض ذلك المَكَان للغزوِ، والنَّكبةِ، والتَّدميرِ؛ فبكوه بكاءً مرًّا؛ سواءٌ المكانُ الخارجيّ المفتوحُ العامّ؛ كالمدنِ الأندلسيَّةِ الشَّهيرةِ التي خلَّدها التّاريخ، أو المكانُ المغلق؛ كحُصُونهم، وقِلَاعِهم، التي بكُوها، ومساجِدِهم التي أحيَوا فيها العِباداتِ، وكلّ ما يتَّصِلُ بالدّينِ، والعُلُومِ وحلقَات العلمِ في جميع الفنُونِ، وكذا جامعات الأَنْدَلُس، التي كان يجتمعُ فيها الدَّارسون من شتَّى أقطار الدُّنيا، ويفيدون من علمائهِ، وسيعرض الباحث لتلك الأماكن المغلقةِ في المبحثِ الثَّاني .

وهكذا؛ فيمكننا الوقوفُ في هذا المبحثِ على المَكَان المفتوحِ، الذي كان له حضورُه المهمُّ لدى كُتَّاب رَسائِل الإسْتِنْجَاد في النَّثْر الأَنْدَلُسِيّ؛ لكونهِ يمثّل لدَيهم الشَّغفَ والحبَّ، والاعتزازَ، والفَخْر، وتظهر تجلّيَات كلّ هذه المشاعر في كثيرٍ من

(١) يُنظر، عبدالغفار، هدى عطية، جماليات المكان في الشّعر المعاصر، قراءة ظاهراتيَّة تأويليّة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثّقافة، ٢٠١٤م، ٣٧.

(٢) يُنظر، القاعود، محمود حلمي، دراميَّة الشّعر الأندلسيّ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٢٣م، ١٢٤.

(٣) يُنظر، الشناوي، عليّ الغريب محمد، فنّ القصّ في النّثر الأندلسيّ، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م،٢٢٧.

(٤) يُنظر، الجزيري، جمال، وظائف المكان وجمالياته في رواية فساد الأمكنة لصبري موسى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٢١م، ٩٣.

Faculty of Arts, Arish University

رَسائِل الإسْتِنْجَاد الأندلسيَّةِ، وسيعرض الباحثُ، هُنا، لمجموعةٍ من المدنِ الحضاريَّة والسِّياسيَّةِ الأندلسيَّةِ التي كانَ لها مَكَانةٌ كبرى لدى كتَّاب رَسائِل الإسْتِنْجَادِ؛ ومن تلكَ المدنِ غَرْناطَة الأخيرةُ زمنًا، والأبرز حضارةً وغيرها من المدُنِ الأندَلسيَّةِ.

فقد يستنجدُ الكاتبُ للأندلسِ أو الجزيرة عامَّةً، أو إحدى المدن المنكوبة المستنجِدةِ خاصَّةً؛ فممَّا نجده من رسائل عامّة للاستنجاد بوصف الجزيرةِ، أو الأندلس عامَّة قد تعرّضت لمحنة الغزوِ، والاستعمار، وتشريد أهلها؛ كما نجدُ في الاستنجاد للأَنْدَلُس؛ فقد جاء ذكر الأَنْدَلُس كثيرا في رَسائِل الإسْتِنْجَاد ؛كما ذكرها المعتمد بن عباد في رسالتِهِ التي استنجدَ فيها بيُوسُف بن تاشفين؛ فيقولُ فيها مذكّرًا أيّها بأنّهم ذوو أرومةٍ واحدةٍ، وأنّهم أُمّةٌ عربيَّة واحدةٍ:" إنا نحن العرب في هذه الأَنْدَلُس"[١] وفي موضعٍ آخرَ من الرّسَالةِ يؤكّد أنَّ ثمَّة مكانًا يجمعهم هو الوطن الذي يتضافر مع كونهم من الأُمّة نفسها، ومن الوطن ذاتِهِ:" ونحن أهل هذه الأَنْدَلُس..."[٢]؛ ففي هذا التّضفير بين الأصل الواحد، والمكان الواحدِ حجاجٌ ناجعٌ في ضرورة الإسراع بنجدتهم، وإغاثتهم.

ومن رسالةٍ لأبي محمد بن عبدالبرّ يردّ على كتابٍ أرسلَ إليهِ: "ورد كتابك يحضُّ على ما أمر الله به من الأُلفةِ، واتفاق الكلمة، وإطفاء نار الفتنة، وجمع شمْل الأمَّة، في هذه الجزيرة المنقطِعة عن الجماعةِ، فلله رأيُك الأصيلُ..."[٣] جاء ذكر الأَنْدَلُس بالجزيرة المنقطعة عن الجماعةِ؛ وهو مدعاة لنُصرتها وقبل ذلك الوحدة وجمع الكلمة والسَّعي في إخماد الفتنة التي تدورُ بين حكَّامها وشَعبها، فكانتْ هذه الرّسَالة داعية إلى لمّ الشَّمل أوَّلًا، وتبعتها رسالةٌ أُخرى تدعو إلى نجدة المسلمين في بربشتر؛ لتؤكد هدف أبي محمد بن عبدالبرّ، وتأييده لمنْ أرسلَ إليهِ يدعوهُ إلى الوحدةِ وائتلاف الكلمة ووحدة الصَّفّ لمجابهة الفتنِ والمصائبِ التي نزلت بالأَنْدَلُس تلك الجزيرة المنقطعة عن جماعة المسلمين في المشرقِ العربيّ.

وفي رسالةٍ أُخرى كتبها على ألسنة أهل بربشتر إلى المسلمينَ في جميع أنحاءِ الأَنْدَلُس يستنجدُ بهم لنُصرة بربشتر ويذكر جزيرة الأَنْدَلُس يقول:" إلى من بالأمصار الجامعة، والأقطار الشاسعة، بجزيرة الأَنْدَلُس من ولاة المؤمنين، وحماة المسلمين، ورعاة الدّين، من الرُّؤساء والمرؤوسين..."[٤]وصف الأَنْدَلُس بجزيرة الأَنْدَلُس مستجديًا كلَّ من يسكن تلك الجزيرة السعي في نصرة أهل بربشتر جراء ما نزل بهم من الأعداءِ، ولكنّنا سنفردُ أهمَّ المدن المستنجدة بحديثٍ يؤكّدُ كيف كان المكان المفتوحُ فضاءً للمحنة، وأرضًا تطلب النّجدةَ في خطابٍ يتضافرُ فيه الموضوعيّ والفنّيّ ليبلغَ تأثيرُهُ مداه، ويحقّق غاياتِهِ.

١/١ـ قُرْطُبَةُ أُمّ البلَادِ وعاصِمَةُ الفِردَوسِ المفقُودِ:

ظلَّتْ مدينةُ قُرطبةَ واحدةً من أعظمِ حواضرِ الدّنيا، ودُرَّة الأندلسِ؛ لكونها المدينة الفخيمة، وشهرتها التي تجاوزت كلَّ الحدود، ببساتينها، وريفها، وقراها، ومدنها، ونوافيرها، ومباهجها التي غدت مبعث الإعجاب والفخر، ومركز القوة وجوهرة العالمِ؛ مما جعلها مضرب المثل في قصائد الشّعراء، ورسائل الأُدباء[٥]، وعاصمتهم في الدّولة الأُمويَّة؛ لذا تمتَّعت بمكانةٍ ساميةٍ؛ على المستوياتِ: السِّياسيَّةِ، والحضاريَّةِ، والثَّقافيَّةِ، حتى غدت أمّ البلاد، ورمزًا لمجد حضارة العربِ في الأندلس طوال مدّة وجود العرب والمسلِمين في الغَربِ؛ لذا كانتْ أكثر البلادِ بكاءً في الخطابِ الاستنجاديّ، وقد تكرَّر بكاءُ الكتَّابِ لها، واستنجادهم في رسائلهم إلى إنقاذِها وإغاثتِها.

وتأتي قُرْطُبَة في المقام الأوّل عادةً لكونها حاضرة الإمارة الأُمويَّة، والخلافة الأَنْدَلُسِيَّة، وبها دور العلمِ، ومهاد العلماء، وحلقات المعلّمين والقُرَّاء، التي انتشرتْ في جامِعها الأمويّ، وفي غيره من مساجدها المشهورة التي أملى فيها العلماء المشهورون أماليَهُم الباقيةَ.

ومن الرّسائلِ الاستنجاديَّةِ التي يمكنُنا الوقوفُ عندها في هذا الخطابِ رسالةُ لسان الدّين بن الخطيبِ التي يصف فيها مكانة أُمّ البلادِ، وعاصمة بلادهم متحدّثًا عن مناقبِها التي اكتسبتها لكونها عاصمة المسلمين، ومأواهم، وكيف آلت إلى ما آلت إليه بعد غزوها، وفقدها كلّ طارفٍ وتليدٍ: " ثمَّ كَانَ الْغَزْو إِلَى أم الْبِلَاد، ومثوى الطَّارف والتّلاد، قُرطُبة، وَمَا أَدْرَاك مَا قُرطبةُ؟!. الْمَدِينَة، الَّتِي على عمل أَهلُهَا فِي الْقَدِيمِ، بِهَذَا الإقليمِ، كَانَ الْعَمَلُ، والكرسِيّ الَّذِي بفضلِهِ أرعى الهَمل، والمصْر الَّذِي لَهُ فِي خطّةِ الْمَعْمُورِ النَّاقة والجمَل، والأُفق الَّذِي هُوَ لشَمسِ الْخلَافَةِ العَبْشميَّةِ الْحمل، فخيّم الْإِسْلَام بعنوتها المستَباحةِ، وَأَجَازَ نهرَها المعْيي على السّياحة..."[٦].

نجده ينتقل في وصف المكانِ بين الأزمنة الثّلاثةِ الماضي والحاضر والمستقبلِ؛ فيصف قُرْطُبَة المدينةَ، والعاصمةَ بأُمّ البلادِ، التي جمعتْ بين القديمِ والجديدِ من الأموالِ؛ فغدت بالنّسبةِ لكاتبِ الرّيالة لسان الدّين بن الخطيبِ، ولغيره من

---

(١) مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكّار، وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ص٤٥.

(٢) نفسه، ص ٤٦.

(٣) ابن بسَّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٣، م١، ص ١٧٣.

(٤) نفسه، ق٣، م١، ص ١٧٤.

(٥) يُنظر، بيرس، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: ملامحه، وموضوعاته الرئيسية وقيمته التّوثيقيَّة، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٨ م،١١١.

(٦) ابن الخطيب (ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ت ٧٧٦هـ)، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ. ٧٧/١.

Faculty of Arts, Arish University

المسلمين ذات الشّأن العظيمِ، والمنزلة الكبرى؛ فهي دارُ العُلُومِ، ومَكَان الحضارة والفن والإبداعِ في العمارةِ، والبناء والهندسةِ، والطّبّ ونحو ذلك من العُلُوم والمعارفِ.

- **تحليل الرّسالةِ موضوعيًّا:**

المكانُ المفتوح هو مدينة قرطبة: يصفها بأنَّها "أمُّ البلادِ"؛ أي إنَّها أصلُ بلادهم، وعاصمتهم الجامعة لمجدهم، ورمز مكانتهم السّياسيَّة، والدّينيَّة، والاجتماعيَّة؛ فهي مثوى الطَّارفِ والتّلادِ؛ لكونِها مأوى الجديدِ والقديمِ؛ ممَّا يدلّلُ على أصالتِها وتجدُّدها الحضاريّ المستمرّ الذي يجمع بين الأصالةِ والتّحديثِ؛ فجعلها ابن الخطيب أيقونةَ الحضارةِ الأندلسيَّة؛ إذ بها كرسي الخلافةِ، وفيها مركز العملِ، حتَّى غدت مصرًا عظيمًا له وزنٌ في حضارة العالمِ، وعمرانِهِ.

- **الأَبعَادُ السّياسيَّةُ والحضاريَّةُ للمدينةِ:**

يتّكئ لسان الدّين ابن الخطيب على الأَبعَادِ السّياسيَّةِ والحضاريَّةِ للمدينةِ؛ يُصوّر قرطبة بوصفها كرسي الخلافةِ الأمويَّة، ومنارتها، وشمسها السَّاطعة في الغربِ الأوربيّ المشرق بالإسلامِ، فسقوطها يعني اهتزازَ هذا العرش الإسلاميّ في بلادِ الأندلس، وفقدانها يعني فقدان العالم الإسلاميّ مركز قوَّته وهيبته هناك.

- **الأبعادُ الدّينيَّةُ والوجدانيَّةُ:**

تحملُ عبارة ابنِ الخطيب "فخيّم الإسلامُ بعنوتِها المستباحَةِ" الحسرة الشَّديدة، والحزن الممضّ على استباحةِ هذا المكان العزيز المقدّسِ، وعبُور أعدائهم نهرها يرمزُ إلى اختراقهم حُصُون الإسلامِ، وانتهاكهم حرمةَ ديارِهم.

- **تحليلُ الرّسالةِ فَنّيًّا:**

- **الأساليب الإنشائيَّةُ ودورها في تعظيمِ الحدثِ الجللِ:**

ينشأُ تأثيرُ الإنشاءُ بالاستِفهامِ المَجازيّ حِينَ لا يَقصِدُ بِهِ مُنشِئُهُ، بدايةً، طَلَبَ جَوابِ استفهامِهِ، وإنْ أُحتُمِلَ انتظارُ الجَوابِ على كلّ حالٍ؛ لكونهِ يَدخُلُ في بِنيَةِ الجُملَةِ، ويستمرّ تأثيره في بنية الخطابِ الكلّيّ[١].

ومن ثمَّ، يتَولَّدُ عَنِ هذا الاستِفهَامِ المَجازيّ جُملَةُ دلالاتٍ ومَعَانٍ، لا تَنفِي بقَاءَ تأثيره في كُلّ أمرٍ مِنَ الأمُورِ المتعلّقة ببنيته[٢]؛ ولعلَّ في ذلك سِرَّ تأثيرِهِ دِراميًّا؛ لكونه يَنتُجُ إحْسَاسًا بأنّ السُّؤالَ المطروح مازال في حاجةٍ للجواب، أو أنَّه يطلب إجابةً، ولكِنْ لا تأتِي أيَّة إجَابَةٍ؛ فالاستفهام يحوّل بنية الجملة عن بنائها التّوليديّ التّراتبيّ المعروف [٣]وإن تركت للمتلقّي أن يبحث عن إجابة منطقيَّة ووجدانيَّةٍ، يصنعها كلّ متلقٍ بحسب ثقافتهِ وميوله، وانحيازاته الدّينيَّة والسّياسيَّة والفكريَّة والعاطفيَّة.

ومِن ثمَّ؛ فالاستِفهامُ المَجَازيُّ أَشَدُّ إثارةً لعَاطِفَةِ المُتلقّين، وشَغلًا لتفكيرِهِم، لأنَّ تَجربةَ الكاتب التي يُشكّلها خطابه مِن خِلَالِ استفهامَهِ، تَظَلُّ متناميَةً؛ إذ تَتَشكّلُ بحِوارات المتلقّين معَهَا ومُشارَكتِهم إيَّاه؛ فرُوحُ الاستفهامِ تُمَكّنُهُ مِنْ تقدِيمِ خطابٍ أَكثرَ وعُمقًا، وشُمولًا، وتأثيرًا[٤].

ولعلَّ من أسبابِ نَجاح الإنشاء الاستِفهَامِيّ في تَحقِيقِ هذهِ الوَحدَةِ إلى أمرَينِ: الأوَّل: إمكَانَاتُ هَذَا الأُسْلُوبِ الدَّلاليَّةِ وتنوُّعُها وقُدرَتُها علَى الإثارَةِ والتَّوليدِ. والثَّاني: قُدرَةُ الشّاعِرِ عَلَى استِغلَالِ هذهِ الإمكَانَاتِ العَظيمَةِ والإضَافَةِ إليهَا بِحَيثُ يَظَلُّ الاستِفهامُ مُسيطِرًا عَلَى نَسِيجِ البنيةِ؛ حتَّى تَتِمَّ التَّجرِبَةُ في إثَارةٍ وتَشْوِيقٍ، تبَدأُ هذهِ الإثارةُ عندَ المُبدِعِ وتَنتهِي عندَ المُتلقّي بالمُشَارَكَةِ الفعّالةِ في المَوقفِ الشّعريّ؛ كما يُحاورُنا لسان الدّين بن الخطيبِ.

وقد استخدَم ابنُ الخطيبِ الأُسلُوب الإنشائيّ، عن طريق الصّيغة الاستفهاميَّة: "وما أدراك ما قرطبة؟" لما يحملهُ من انفعالاتٍ تعظيميَّةٍ للأحداثِ الكبرى، جريًا على سنن القرآن الكريمِ في ذلكَ؛ ممَّا يعمّقُ الدَّلالاتِ الوجدانيَّةَ، ويدفع المستغاث إلى الإغاثة، والمستنجد به إلى النَّجدةِ.

- **الصُّورُ الفنيَّةُ والمجازاتُ:**

تصوير قرطبة بـــ"أمّ البلادِ" تصويرٌ بالاستعَارةِ، يجعل منها أمًّا لغيرها من مدنِ الأندلس خاصَّةً، والتّصوير بـــ"مثوى الطَّارف والتّلادِ" تصوير كنائيّ، يجمعُ بين كونها رمزًا للحضارة الحديثةِ، وعراقة تُراثِها، و"الأفق الذي هو لشمسِ الخلافَة الحملِ فيه تصوير بديعٌ يَجعل من الخلافة شمسًا، تكون قرطبة أفقها الذي يحملُها، كما أنَّ التَّصوير الكنائيّ في قولِهِ:" النَّاقة والجمل" في خطَّة المعمور" كناية عن عِظَم الشَّأنِ، ووفرةِ الخير في أمّ البلادِ.

- **الإيقاعيَّةُ والتَّأثيرُ الوجدانيُّ:**

النَّصُّ مفعمٌ بالبديع؛ كالسَّجعِ، والجناسِ في قولِهِ: (البلَاد، التّلاد، الكرسيّ... أرعى الهمل، النَّاقة..الجمل)، ممَّا أشَاعَ جوًّا من الموسيقى الدَّاخليَّة المؤثّرة، التي تمَّ شحنها وتكثيفها بواسطة المفرداتِ ذات الإيحاءات القويَّة؛ كما نجد في "الغزْو، مثوى، المستباحَة، أجازَ نهرها"؛ ممَّا يلهب المشاعر، ويبرزُ المأساة التي يعاني منها أهلها، ويستوجبُ نَجدتهم، وغاثتهم والسَّماع لصوتِ استنجادِهم في هذه الرّسالةِ، وغيرها، ممّا توافرَ فيه هذا الشَّحنُ العاطفيّ بأدواتٍ فنيَّةٍ، جعلت

(١) يُنظر، عبدالعال، محمد سيد عليّ، شعر الطّبيعة النّجديَّة (الأنساق الثّقافيَّة والتّشكيلات الجماليَّة)، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٢٠م،٤٣٤.
(٢) يُنظر، عبد الجليل، حسني، أساليب الاستفهام في الشّعْر الجَاهِلِيّ، القاهرة، مؤسسة المختار،٢٠٠١م،١٠.
(٣) يُنظر، عمايرة، خليل، في التحليل اللغويّ: منهج وصفي تحليلي، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٧م،١١٥.
(٤) يُنظر، عبد الجليل، أساليب الاستفهام ،٧.

Faculty of Arts, Arish University

الموضُوعَ أكثر تأثيرًا؛ ممَّا جعل الخطاب يُجسّد الوظائف المتغيَّاة من رَسائلِ الاستِغاثةِ، والاستنجادِ الأندلسيَّة؛ فمن المستوَى الموضُوعيّ، نجحَ المرسلُ في تصوير المحنة، وتعريف المستغاثِ بحجمِ الكارثةِ، وعِظمها، وبيان أهميَّة نجدتها، لما تمثّلهُ هذه المدينةُ المستباحةُ، من مكانةٍ خاصَّة في قلوب العربِ والمسلمين، بل في قلوب الإنسانيَّةِ، كما استطاع من النَّاحية الفنّيّة: توظيف التَّصويرِ الفنّيّ، بأنواعِهِ المختلفةِ، والمجازاتِ المتعدّدةِ، والتَّكراراتِ لإثارةِ الجانب الوجدانيّ، والعاَطفيّ، واستنهاض همم المستَغاثِ بهم.

ويلحظُ أنّهم يلحقون بالمدنِ الكبرى المستغيثة بعض المدُن المتّصلة بها؛ ليؤكّد أهميّة الإغاثة العاجلة بما تتميّز به من حفولها بأمثاثل هذه المدنِ؛ كتميّز قرطبة بمدينة تاكرنا، التي تقع في شرق الأَنْدَلُس: " وكانت لأبي وأسلافي بتاكُرُنّا من عمل قُرْطُبَة أملاك مشهورة، وأصول معْلُومة، جلوا عنها في الفتنة إلى شرق الأَنْدَلُس ومضوا لسبيلهم غير مفوتين لها، ولا خارجين عنها، وهي الآن فيما ينسبُ إلى المستخلص...، والرغبة إلى أميرِ المسلمينَ... أن يعمرني منها الزَّوجينِ اللَّذين ثبتا في العقودِ المرفوعةِ إلى نظرهِ الكريمِ، وحيزا بما أوجبهُ مقتضى النَّظر لي بتوقيعهِ العالي، أسُدُّ بهما خلة فقري، وأستعين على دهري..." [(١)]" فنرى المرسل يذكر أن تاكرنا من أعمال قُرْطُبَة التي في حاجة للإغاثة والنَّجدةِ من ناحيةٍ، ولبيان أهميَّة قُرْطُبَة؛ بوصفها حاضرة الأَنْدَلُسِ الأولى من ناحيةٍ أُخرى؛ وهكذا تتضافر القيم الفنيَّة والموضوعيَّة لاستنهاض إخوانهم لنجدتهم، وإنقاذهم بإنقاذ أماكنهم، ومعاقل دينهم، ومهاد حضارتهم.

١/٢ـ غَرْنَاطَة آخرُ المعاقلِ الإسلاَميَّةِ:

اكتسبت مدينة غرناطةَ مكانة مميّزة في تاريخنا العربيّ عامَّةً، وفي تاريخ الأندلس خاصَّةً؛ بوصفها آخرَ المعاقل الإسلاميَّةِ في الأندلُس، وإن كان للمَكَان حضورٌ بارزٌ في رَسائِل الاِسْتِنْجَاد الأَنْدَلُسِيَّةِ الخاصَّة والعامَّة، ففي رَسائِل الاِسْتِنْجَاد لمدينة غرناطة وقع مختلفٌ، وتأثير نافذٌ في الرّسائلِ العامَّة التي ترسل إلى الملوكِ، والسَّلاطين؛ فاعتاد كُتَّابُها ذكرها في صدارة رسائلهم الاستغاثيَّة الاستنجاديَّة.

وهكذا أمست غرناطة المَكَان الأكثر دورانًا في خطاب الاستنجاد الرّسائليّ؛ كما نجد في تلك الرّسَالة الذي صدَّر بها لِسَان الدّين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) رسالته؛ فغالبًا ما يذكر في رَسائِلِهِ المَكَان الذي تنطلقُ منه رسالةُ الاِسْتِنْجَاد، فنراه يبين أهميتَهُ، وحاجته الشَّديدةَ للنَّجدَةِ من خلال ذكر غَرْناطَة، التي ظلّت تعيشُ بين الألم في ردِّ عدوّها والصِّرَاع معهُ من ناحيةٍ، والأمل في انتظار الفرجِ منَ المسلمينَ في المغربِ وتونس ومصر وغيرها من بقاع الإسلام من ناحيةٍ أُخرى؛ لتقف معها ضِدّ عدوّها، في إنقاذ مدينة (غَرْناطَة) [(٢)] ذات الأهميَّة التَّاريخية والسِّياسيَّة والدّينِيَّة التي حوتْ قَصْر الحمراءِ، وحكم فيها بنو الأحمر أكثر من قرنين ونصفٍ تقريبًا، وقد حكمها قبل ذلك باديس بن حبوسٍ، وأبناؤهُ، وأحفادهُ، زمنَ ملوكِ الطَّوائفِ، وقبل ذلك كانت ملكًا لبني أُميَّةَ، وشهِدتِ انتصاراتٍ كبيرةً، وبلاءً عظيمًا، ذاق مرارتهُ المسلمون.

ومن تلك الرّسَائِل التي حوت ذِكر غَرْناطَةَ في صدارتها رسالةُ لِسان الدّين بن الخطيبِ التي صدرت عن أميرهِ أبي الحجاج النَّصريّ إلى ملك المغربِ أبي عنان يستنجدهُ: "... من حَمْرَاء غَرْناطَة، حرسها الله، واليسر وثيق المهادِ، وَالْخَيْر وَاضح الْإِشْهَادِ، وَالْحَمْد لله فِي المبدأ والمعادِ، وَالشُّكْر على آلائه الْمُتَّصِلَة التَّردادِ، ومقامكم الذّكر الْكَافِي العهادِ، وَالرَّدّ المتكفّل الإنجادِ. وَإِلَى هَذَا وصلَ اللهُ سعدكُمْ، وحرس مجدَكُمْ، ووالى نصرِكُمْ، وعضدكُمْ، وبلغكُمْ، من فَضله العميم أملكُم وقصدكُمْ،، فإنَّنا نؤثر تعريفكُمْ، بتافه المتزيداتِ، ونورد عَلَيْكُم أشتاتِ الْأَحْوَال المتجدّدات، إِقَامَة لرسم الخلوصِ، والتعريف بِمَا قل، ومودَّة خَالِصَة فِي الله عزَّ وجلَّ. فَكيف إِذا كَانَ التَّعْرِيف مَا تهتزُّ مَنَابِر الْإِسْلَام، ارتياحًا لوروده، وتنشرح الصُّدُور جذلًا لمواقع فضل الله وجوده، والمتكيّفات البديعة الصِّفَات فِي وجودهِ. وَهُوَ أَنَّنا قدمنَا إعلامكم بِمَا نوينا من غَزْو مَدِينَة قرطبة، أم الْبِلَاد الْكَافِرَة، ومقرّ الحاميةِ الشَّهيرةِ، والخيرات الوافرةِ، والقطر الَّذِي عَهده بآطام الْإِسْلَام متقادم، والرُّكن الَّذِي لَا يتَوَقَّع صدمة صادم، وَقد اشْتَمَل سورها من زعماء مِلَّة الصَّلِيب..."[(٣)].

فقد انقلبت بعد أن غزاها النصارى إلى دار كفر واستبدلت المساجد إلى كنائس والأذان إلى نواقيس ونحو ذلك من التَّغييراتِ الطَّارئة على قُرْطُبَة وبقية المدن المنكوبة آنذاك.وفي الوقتِ نفسهِ تأتي مدن الثغور كسَرَقُسْطَة ووشقة، ومن القلاع قلعة أيُّوبَ ونحوها من القِلاع والحصُون، ويذكر غَرْناطَة داعيًا ربَّه أن يحرسَها من كلّ شرٍّ، وعدوانٍ، مُستبشرًا بمخاطَبةِ ملك المغرب أبي عنان، الذي له فضلٌ كبيرٌ على الأَنْدَلُس وغَرْناطَة تحديدًا، فغَرْناطَة هي حاضرة بلاد الأَنْدَلُس الأخيرة، والتي كان يُخَاطَبُ من ساحتها الملوك والسَّلاطين اِسْتِنْجَادًا ونحوه، وتعقد في أنحائها الاتفاقيات من أجل تطويرها وحمايتها، وما ذكر لسان الدّين بن الخطيب غَرْناطَة إِلَّا دَعا لها تارةً بالحِراسةِ (حرسَها الله) ثمان وثمانين مرةً، وتارةً يدْعُو لها بقولهِ: "من حمراء غَرْناطَة أمَّنَها الله..." [(٤)]وتارةً بقولهِ: "من أهل حضرتنا غَرْناطَة وريضها، شرح الله لقبول الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ صدورهم..."[(٥)] فلسَان الدّين بن الخطيب دائمًا ما يدعو لها بالحفظ والأمن والحراسة؛ لاستهداف العدو

(١) ابن أبي الخصال، رَسائِل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر،١٩٨٨م، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٢) بفتح أوله، وسكون ثانيه، ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس، يَشُقُّهَا النَّهر المعروف بقلزم، بلفظ منه سحالة الذهب، وعليه في داخل المدينة أرجاء كثيرة، واقتطع منه نهرا يخترق نصف المدينة، فيعمّ سقاياتها وحَماماتها.(٢).

(٣) ابن الخطيبِ، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١٧/٢.

(٤) نفسه، ١٦١/١.

(٥) السابق، ٤٢/٢.

Faculty of Arts, Arish University

لها، وهي آخر معاقلُ المسلمينَ الأخيرة بعدَ تعرُّض المدن الأَنْدَلُسِيَّة الأخرى للخَرابِ والنَّكبةِ، وغَرْناطَة صامِدةٌ ضِدَّ عَدُوِّها بكلِّ ما تستطيع من قوَّةٍ، واستعانة بمن حولها من المسلمينَ في المغربِ والمشرقِ.

- **البنيةُ الموضوعيَّةُ مِنَ الافتِتاحِ إلى المضْمُونِ:**

بدأت الرِّسالة بحمد الله، عزَّ وجلَّ، وشكره على نعمائهِ، وحمد الله تعالى في المبتدأ والميعادِ، ثمَّ ينتقل من ذلك التَّحميد إلى الدُّعاء للمستنجدِ بهم من الملوك أو الأمراء: بأن يحفظهم الله ، وأن يكتب لهم النَّصر، والتَّمكين، وهو أسلوبٌ شائعٌ في رسائل الاستنجادِ عامَّةً لإثبات حسن النِّية، وكسب ودّ المرسَل إليهم من المستغاث بهم، ثم ينتقل من ذلك إلى التَّعريف بالغاية من الرّسالة؛ وهي أنَّ المرسِل يصرّح بمقصدِه: من إرسالهِ؛ وهو تعريفُهم بأحوالِ غَرناطةَ، والأحداث الجارية، وبخاصة نيَّة الغزوِ؛ لذا يقدّم الخبر بهذه الصّيغة "قدمنَا إعلامكم بما نويناه" بما يوحي بجديَّة الرّسالة، وما تحمله من صبغة رسميَّةٍ.

- **التَّصوير الفنّي والتَّأثير الوجدانيّ:**

استعان لسانُ الدّينِ بن الخطيبِ بمجموعةٍ من الصُّورِ البيانيَّةِ المتضافرةِ مع التَّلوينات البديعيَّة ليكثّف الخطابَ، ويبث فيه طاقات إيحائيَّة قادرة على الضّغط النّفسيّ، والوجدانيّ على المرسل إليه المستنجد به؛ ففي هذه الصّورة: "اليسر وثيق المهادِ، والخير واضِح الإشهاد" مع هذا التّصوير الفنّي القائم على حاستي اللّمسِ، في المهاد، والسّمعيَّة في الإشهاد؛ فإنّها تقومُ، أيضًا، على التّلوين البديعيّ المثير بكثافته القائمة على السَّجع والازدواجِ اللّفظي، تمنح النَّصَّ إيقاعًا يعملُ على خلق بنيةٍ متوازنةٍ، وسلسلة لغويَّة من "توازناتٍ وتواليات متوازنة على كافَّة المستويات"[١]، والتّصوير الفنّي في قوله:"تهتزُّ منابر الإسلامِ ارتياحًا " استعارة تجعل من الجماداتِ في "المنابر" كائنًا حيًّا يهتزُّ فرحًا.؛ وهي صورةٌ تتصادَى مع التُّراث.

وثمَّة رسائل أُخرى كثيرة للسانِ الدّين ابن الخطيب يذكرُ فيها غَرْناطَة، ويجعلها في صدارة خطابة ليكسبها تأثيرًا أقوى، وتكثيفًا تصويريًّا ألفت للانتباه، وأكثر إثارة لعواطف المستنجد بهم؛ كقولهِ الذي يمزج فيه بينها وبين قصر الحمراء الذي كان يميّزها مع ما يميزها، ولا سيّما أنّه كا معقل الخلافة، وآخر قصور المسلمين هناك:" من حَمْرَاء **غَرْنَاطَة** حرسها الله، وَعِنْدنَا من الثِّقَة بِاللَّه عُقُود لَا يتَطَرَّق إِلَيْهَا انفصام، وَمن التَّوَكُّل عَلَيْهِ حصنٌ حُصَيْن إِلَيْهِ فِي الشَّدَايد والاعتصام. وجنابكم بعد الله، هُوَ الملجأ الأحمى وَالْمقَام..." [٢].

ونلحظ أنَّنا غالبًا ما نجد هذا الرّبط بين ذكرِ مدينة غَرْناطَة بتاريخها المعروف، وقصر الحمراء بما لهُ من تاريخٍ عريقٍ، وحضارةٍ تليدةٍ؛ لذا نجده يدعو إلى قصر الحمراء بالحراسةِ من الله سبحانه وتعَالى، ويبَيَّنَ ثقته بربّهِ تعالى في حمايتها، معقبًا ذلك بالثَّناءِ على المستنجَدِ بهِ لحمايتِها ودفعِ عدوّها، وهو اِسْتِنْجَادٌ مكثّفٌ بما حفل من تصوير وتلوين بديعيّ، وإن بدا غير مباشرٍ في ظاهر الخطابِ.

وهناك رسالةٌ أُخرى نراه يذكر فيها قصر الحمراء بغَرْناطَة، أيضًا، مركّزا على كونه مركز مملكة الإسلام، حاضًّا على الاستنجاد له، والدّفاع عنه: "من دار ملكِ الإسلامِ بالأَنْدَلُسِ حمراء غَرْناطَة- وصل الله سبحانهُ عادة الدِّفاع عن أرجائها..."[٣].

ويأتي تخصيص الكاتبِ حمراء غَرْناطَة بدار الإسلامِ، وملكه في الأَنْدَلُس؛ لكونها تمثّل حاضرة من أهمّ حواضر الإسلام في الأَنْدَلُس في تلك الحقبةِ، بل غدت حاضرة الإسلام الأهمّ؛ لكونها أمست وآخر معاقله؛ فحقّ الدّعاء لقصر الحمراء بغَرْناطَة، بالحفظِ، واستحقاقه والدِّفاع عنها؛ لذا يركّز على ما هو دائرٌ فيهِ: "حيثُ المصافُّ المعقودُ، وثمن النُّفوسِ المنقود، ونار الحربِ ذات الوقودِ؛ حيثُ الأُفقُ قد تردَّى بالقتامِ وتعمّم، والسَّيف قد تجرَّد وتيمَّم..."[٤] .

وثمّة صورة كليَّة تشخيصيَّة لغرناطةَ تجعلها فارسًا على استعداد دائمٍ للدِّفاع في صدّ عُدوانِ عدوّها، وحرصه علَى طلبِ النَّجدةِ من إخوتهِ في المغرب ونحوه من الدّول الإسلاميَّةِ؛ لكونه يُدافعُ عن بيضة الدّين وحاضرة من أعزّ حواضر المسلمين.

ويذكر لسان الدّين بن الخطيبِ حسناتِ المَكَان في غَرْناطَةَ، وما يمتاز بهِ هذا المكان المشخّص؛ فيستمرّ في هذا التّصوير الذي نلحظ فيه أنسنة المكان، وتحفُّزهُ: "وإنَّ هذا القطر الذي مَهَّدت لسياستنا أكوارُ مَطَاياه، وجُعلت بيدنا- والمنّة لله- عِياب عَطَاياه، قطرٌ مستقلٌ بنفسِهِ، مُرْبٍ يومه في البرّ على أمسهِ، زكيّ المنابت عذب المشاربِ، مُتمّم المآملِ مكمّل المآربِ، فاره الحيوانِ، معتدل السّحَنِ والألوانِ، وسيطة في الأقاليم السَّبعة، شاهدة لله بإحكامِ الصَّنعة، أمَّا خيله ففارهة، وإلى الرّكض شارِهة، وأمّا سيوفهُ فلمواطنِ الغمودِ كارهةٌ، وأمّا أسَلُهُ فمتداركةُ الخطفِ، وأمّا عواملهُ فبيّنةُ الحذفِ، وأمَّا نِبالهُ فمحذورةُ القذفِ..."[٥] .

وهكذا يجيل لسان الدّين ابن الخطيب عدسات فنّهِ من تصويرٍ، وسجعٍ، وجناسٍ؛ لنرى أبعاد غَرْناطَة، وما امتازَ به قطرُها من مناقبَ، وميزاتٍ، وفضائلَ، فهو قطرٌ استقلَّ بنفسهِ، وتميّز بما ينبتُ فيه من أشجارٍ، ونباتاتٍ زكيَّةٍ، وما يحصل

(١) الطوانسيّ، شكري، البديع وفنونه: مقاربة نسقيَّة بنيويَّة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط٢٠٠٨،٢م، ١٠٢.
(٢) ابن الخطيبِ، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ص ١٣٥.
(٣) المَقَّري، نفح الطيب، ٣٢٣/١.
(٤) نفسه، ٣٢٣/١-٣٢٤.
(٥) نفسه، ٣٢٤/١.

Faculty of Arts, Arish University

فيه من خيراتٍ للإنسانِ والحيوانِ؛ فَحيواناتهُ جميلةٌ، فيها اعتدالٌ في الألوانِ، وتوسُّط ليست بالبيضاءِ النَّاصعةِ، ولا ذات السَّوادِ الشَّديدِ؛ فهي بينَ بينَ، وكلّ مقوّمات القتالِ متوفرةٌ من سُيوفٍ، ورماحٍ، ونبالٍ، لا ينقصُها إلَّا مَن يدافِعُونَ عنها، ويساندونها ضدّ أعدائِها المتربّصين بها الدّوائر من أعداءِ دينِ الله، المستهدفينَ دِينَهُ، وأهل العقيدةِ الصّحيحة؛ لتغدو كلّ هذه الحجج ناجعة لمن يتقاعس عن نجدته،كما أنَّ فيها حثًّا وحضًّا لكلّ مسلم صادق الإيمان لنجدتها وإغاثتها.

١/٣ـ بَلَنْسِيَّةُ نجدُ الجزيرةِ الأندلسيَّة:

من المعلوم أنَّ العربَ عظّموا من شأن نجدٍ، وأهلها، وظلّت معقل العرب الأقحاح، وموطن شعرائها الأفذاذِ؛ لدرجة أن تتبع النّاقد الباحث محمد سيّد عبدالعال في أطروحةٍ للدّكتوراه أَنساقَ المَكَانِ النَّجدِيّ؛ بِوَصْفِهِ فَضَاءً ثَقَافِيًّا وَجَمَالِيًّا، بما تميّزَ به في طَبيعتِهِ، وقد تجلَّى له ذلك مِن خِلَالِ كُتُبِ الأدبِ واللّغة، والتَّاريخ، والجُغرَافيَا، وكذا في المَعَاجِمِ العربيَّة، وكُتُبِ الأَمثال؛ حتَّى غدت رمزًا أَلسِنَةِ الأُدباء النَّجْدِيّينَ وغَيرِ النَّجْدِيّينَ، بِصُورةٍ تَستَرعِي انتبَاهَ الباحثين، وتَلفِتُ أنظارَ الدّارسين، وتَستَدْعِي التَّوقُّفَ عِندَها لِلتَّدبُّرِ والبَحثِ؛ فغدت نَجْدٌ رَمزًا دَلَاليًّا ثَرًّا مُفعمًا بالحُقولِ الدَّلاليَّةِ المُتنوّعةِ "بَينَ حُبٍّ إِلَى دَرَجَةِ الهُيَامِ، وشَوقٍ وحَنينٍ إِلَى دَرجةِ التمزُّق، كما تَأتِي مُعَادِلًا مَوضُوعِيًّا للحَبِيبِ الهَاجِرِ، أو الزَّمَنِ الجَميلِ الرَّاحِلِ، وَثَمَّة صُعُوبةٌ شَدِيدَةٌ هِيَ كَثْرة النُّصُوصِ الَّتِي ذُكِرَتْ فيهَا (نَجْدٌ) صَرَاحَةً، بَلْهَ التَّلمِيحَ بِأَمَاكِنِهَا، وَمُفْرَدَاتِ طَبِيعَتِها الخَاصَّةِ"(١).

ومن ثمَّ؛ نجدهم يشبّهون بلنسيَّة بأنّها نجد الأندلس؛ نظرًا لمكانتها في جزيرة الأندلس بما يشبهُ مكانة نَجدٍ في جَزيرة العربِ" وما أحسنَ ما أعربَ الإمامُ الكاتبُ القاضِي أبو المطرّفِ بن عُميرةَ، عمَّا يشملُ هذا المعنى وغيره في كتابٍ بعثَ به إلى الشَّيخ أبي جعفرٍ بن أميَّة، حين حلَّ الرُّزْءُ ببلنسيَّةَ؛ وهو:

أَلَا أَيُّها القَلْبُ المصرّحُ بالوَجدِ أَمَا لكَ مِن بادِي الصَّبابةِ منْ بُدِّ
وهَلْ مِن سُلُوٍّ يُرتجَى لمتيّمٍ لهُ لوعةُ الصَّادي وروعةُ ذي الصَّدِّ
يَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ، وَهَيْهَاتَ حَرّمَتْ صُرُوفَ اللَيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى نَجْدِ(٢)

فنلحظُ من خلالِ هذا الشّعرِ الذي تضافرَ مع نسيجِ الخطابِ النّثريّ في رسالة المرسلِ هذا التّشبيه لبلنسيَّة بنجْدٍ بما تمثّله الأخيرة من الرُّموزِ التي أشرتُ غليها آنفًا؛ فقلبُ الكاتبِ يحنُّ إلى مراتعِ الصّبا، في بَلَنْسِيَّة التي كنَّى بنجْدٍ عنها؛ ليس غرضِ القافيةِ والرّويّ الذي ينتهي بحرفِ الدّالّ، كما قد يتراءى لنا، ولعلَّه بهذا يواكبُ الشُّعراء والأُدباء الذين أكثروا من ذِكر نجدٍ؛ فوهو يسير على منوالهم، ويتّخذها رمزًا للحنين؛ كما شاع لدى شعراء نجدٍ خاصَّة، وشعراءِ العرب، والأَندَلُسِ عامَّةً؛ لأنَّهم بالأساسِ قدموا إلى الأَندَلُسِ من الجزيرة العربيَّةِ؛ فحنُّوا إلى نجدٍ التي جاؤوا فيها، فهو يشتاقُ إلى هذا المَكَان الذي قضى فيه أكثر سني عمرهِ، وله فيه ذكرياتٌ جمَّةٌ، يتذكَّرها، ويرْنُو العودَة إليها، ولكنَّه مع مشاهدةِ الأحداثِ الجسامِ، وما يعيشهُ من بطش الأعداءِ، واستيلائهم على بَلَنْسِيَّةَ بإحكامٍ، يشعر باليأسِ من أن تعودَ إلى إمرة المسلمينَ تارةً أُخرى.

ويتَّصلُ الحديثُ عن بَلَنْسِيَّة في الرّسالة نفسها، وفي الأبياتِ نفسِها، في التّغنّي بمَكَانتها لدى أبي المطرّف بن عميرةَ، مستفهمًا عمَّا أصابهُ من رزيةٍ، شبَّهها بالنَّار المتَّقدة في الأحشاءِ، وهي لا ترى؛ فقدْ فقَدَ شيئًا كبيرًا، يجد أثرَ ذلك جليًّا مشاهدًا معاصرًا في ألمٍ ممضٍ، وحزنٍ مسيطرٍ؛ لذا يستعين بالخطاب الشّعريّ ليكثّف مشاعره، ويقوّي من تأثير خطابهِ عاطفيًّا ووجدانيًّا.

أَمِنْ بَعْدِ رُزْءٍ فِي بَلَنْسِيَّة ثَوَى بِأَحْنَائِنَا كَالنّارِ مُضْمَرَةِ الوَقْدِ(٣)

فالفقدُ نارٌ تتضرَّم في صدرهِ؛ لذا يستمرّ في تصوير هذه الفجيعةِ؛ فيقولُ كثيرٌ من الكُتابِ فيما أَصاب هذه المدينةِ، ومن الكُتَّابِ الذين بكوا بَلَنْسِيَّةَ، وتأثَّروا بما أصابها أبو عبدالرحمن بن طاهرٍ؛ حين يكتبُ في رسالةٍ مؤثّرةٍ من رسائلهِ، وقد شهد أبو عبد الرحمن بن طاهر حال مدينة بلنسيَّة في أيام ثورة ابن جحاف فيها، ولم يكن راضيًا بطبيعة الحالِ؛ إذ كان ابن جحَّاف يظنُّهُ في أوّل الأمرِ منافسًا لهُ، فعاش حتَّى كتب له أن يشهدَ محنة بلنسيّة على يد السّيّد، وكان من الأسرَى في سنة ٤٨٨ هـ؛ فكتب إلى بعض إخوانهِ منها؛ ليصفَ لهُ حال المدينةِ، وما آلت إليه(٤): "فلو رأيت قطر بَلَنْسِيَّة نظر الله إليه..." (٥).

فبَلَنْسِيَّة من المدن المهمَّة التي بكاها كتَّابُ رَسائِلِ الإِسْتِنْجَادِ، ومنهم أبو عبدالرحمن بن طاهر الذي أشفق على بَلَنْسِيَّة مَكَانًا وإنسانًا، وتحسّره على سوءِ حالها، حاكيًا سوء الحالِ بأنَّ المرسلَ إليه لو رأى ما دهَاها من رزايا لأشفقَ لحالها مِن قَتلِ أهلِها، وأسرِهِم، وتدميرٍ لممتلكاتها، وعبثِ الأعداءِ بمقدَّرَاتها، ويدعُو الكاتبُ ربَّهُ، ويسألهُ اللُّطفَ ببلنسيةَ وبأهلِها فيما حاق بها.

وممَّا يتّصلُ بالمكان النّجديّ جبل الريَّانِ، والرَّيَّانُ هو جَبَلٌ معروفٌ لبَنِي عَامِرٍ النَّجْدِيّينَ في جزيرة العربِ بينَ طَيءٍ وأَسَدٍ، وقد أكثر الكُتّابُ والشُّعرَاءُ مِن ذِكْرِهِ(٦)، لكون" الرِّيحُ اليَمَانيَّةُ آتيَةً مِن نَاحِيَةِ الرَّيَّانِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ النَّفَحَاتِ

(١) عبدالعال، محمد سيد عليّ، شعر الطّبيعة النّجديَّة،٢٦.
(٢) المَقَّري، نفح الطيب، ٣٠٥/١.
(٣) السّابق، ٣٠٥/١.
(٤) يُنظر، عبَّاس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٥،١٩٧٨م، ١٨٧.
(٥) المَقَّري، نفح الطيب، ٩١/١.
(٦) البكريّ الأندلسيّ (أبو عُبَيْد عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ)، مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه، وشرحه، وفهرسه: مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٦٩٠/٢، الأصبهاني (أبو بكر محمد بن داود ت ٢٩٦هـ أو ٢٩٧هـ)، الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ونوري القيسي، الأردن، مكتبة المنار، ط٢،١٩٨٥ م ٣٠٨/١.

Faculty of Arts, Arish University

المَوصُولةَ لا تَصِلُ بينَ الأَماكنِ بَقَدرِ مَا تَصِلُ بينَ القُلُوبِ"[١].

ذكر في قصائد الشُّعراء وهو أحد جبال نجدٍ، وكأن ابن عميرة يبكيه ويندبُهُ، وهو يقصدُ أحد جبال بَلَنْسِيَّة فيقولُ:

فَيَا جَبَلَ الرَّيَّانِ لَا رَيّ بَعْدَمَا عَدَتْ غِيَرُ الأَيَّامِ عَنْ ذَلِكَ الْوِرْدِ[٢]

ينادي الكاتبُ جبل الرَّيَّان الذي أحبَّهُ، واشتاق إلى الجلوس بجواره، وكأنَّه يخاطبُ إنسانًا، مع كونهِ صخرةً صمَّاء، ولكنَّهُ يؤنسنهُ؛ فيخاطب فيه المَكَان الذي تعلَّق بهِ، وسكن فؤادُه إليهِ، فحنينهُ إليه مستمرٌّ، وإنْ حالتِ الصُّروفُ، ومصائب الحياةِ عن العودة إليهِ؛ ممَّا يثير نفوس المستنجد بهم في إنقاذه، والمبادرة إلى إغاثة أهلهِ.

ولاشكّ في أنَّ إحساس الأدباء والشّعراء بالغربة والاغتراب بعد أن فقدوا أوطانهم ومراكز بلاط حكمهم نظروا إلى هذه الأماكن نظرة حسرةٍ وألمٍ وحنينٍ، والإلحاح على ذكر أوطانهم، ترميزًا ومباشرةً، ليلفتوا نظر إخوانهم بمدى إحساسهم بالضّعف والهوان لاستنهاضِ هممِهم لنجدتهم[٣].

ونلحظ على مجمل هذه الرّسائل الاستنجاديَّةِ أنَّ لها سماتٍ موضوعيَّة وفنيَّة مطّردة؛ منها:

- **سِمَاتٌ موضوعيَّةٌ:** تهدفُ في معظمها إلى إعلام إخوانهم، وإلى التّعبئةِ النّفسيَّة والدّينيَّة والوجدانيَّة والعربيَّة، مع التَّأكيد على قيمِ الفتحِ العربيّ، والدّينيّ، والسّياسيّ المنتظرِ لهذه المدنِ.
- **سِمَاتٌ فنيَّةٌ :**تتَّسمُ فنيًّا بجزالةِ الأساليبِ، مع كثرة المحسناتِ البديعيَّةِ، وبخاصَّة الازدواج، والسّجع، والجناسِ، مع كثرة الصُّور الفنيَّة بأنواعها، ولا سيّما الاستعاراتُ والكناياتُ، التي يبدع كُتّاب الرّسائل الاستنجاديَّةِ في توظيفها لخدمة الأغراض الدّعائيَّةِ والتَّحريضيَّةِ.

المبحثُ الثّاني

المكانُ المغلقُ:

إذا كان المكان المفتوحُ يكتسبُ صفة العموميَّة؛ لأنَّه يشمل حياة الفرد مع غيره ممَّن عاشروه في هذا الفضاء الواسع العام؛ كالمدن، التي أفرتها بالدّرس في المبحث الأول فإنَّ المكان المغلق يشكّل نوعًا أكثر حميميَة لكونه متّصلًا بصورة أكثر حميميَّة بحياة الفرد؛ لأنّه مكان نشأتهِ، وحياته، وأمسّ بمشاعره الخاصَّة التي التحمت بطفولتهِ، وصباه وكل مراحل حياتهِ.

لِذَا فَالمكانُ المغلق هو الإطار الذي يحمل الذّكرياتِ الإنسانيَّة، وما يتّصلُ بكل إنسان من مواقف مختلفة، وأشخاصٍ عايشهم فيه، وأوجاعٍ عاناها، وأحلامٍ تمنَّاها، وما يرتبط بكل ذلك من مشاعر الحبّ، والخوفِ، والأمل، وكذا مشاعر الإشفاقِ، والإعجابِ في حال وجوده وسكناه، أوالشَّوقِ، والحنينِ إليه في وقت فقده وضياعه؛ لذا فلا يمكنُ أن تنفصلَ عناصر أيّ خطاب أدبيّ عن المكانِ، وبخاصَّة المغلق؛ إذ إنَّ كلَّ نصّ حين يفقد سمياءَه المكانيّة؛ يفقدُ خصوصيَّاته، وأصالته، وجميع قيمه المكتسبة بالمعايشة، أيضًا[٤].

ومن ثمَّ، تختلف قيمة المكان باختلاف نوعهِ؛ فالمكان المغلقُ؛ كالبيت خاصَّة يشكّل الجوانب الإنسانيَّة والاجتماعيَّة والنّفسيَّة، تجعل من الإنسان أكثر رغبة في الدّفاع عته وقت تعرّضه للأذى، أو التّدمير؛ لأنّه أكثر التحامًا بوعي الإنسان ولا وعيه في وقت واحدٍ[٥].

- **الدَّارُ:**

يسمّي غاستون باشلار البيت عشّ الطّائر[٦]؛ لكون الدّار تمثّل المَكَان الدائم في الحياة الذي يسكنُ فيه الإنسانُ، ويحرص على بقائهِ فيه، ودوام حياته متّصلًا بمكوّناتهِ، فيغدو حريصًا على سلامتهِ من الخرابِ والدَّمار، ونجد في رَسائِل الإسْتِنْجَاد الأندلسيَّة الاهتمام البالغَ بدور السَّكنِ، والحرصِ عليه، والمطالبة باستردادِه، والحرص على ما سُلبَ منها في زمن الفتنِ، ونحو ذلك من رَسائِل الإسْتِنْجَاد التي اهتَمَّت بالدّور.

ومن تلك الرّسَائِل رسالةُ أسماء العامريَّة التي كتبتها إلى الخليفة أبي محمد عبدالمؤمن بن عليّ التي نمتْ إليهِ فيها بسلفها العامريّ، وتسأله رفع الإنزالِ عن دارها، والاعتقال عن مالها؛ فالمَكَان هنا الدار الذي يمثّل استقرارها، وله مَكَانةٌ في نفسِها؛ فهو مأواها الدَّائم؛ ولذا رفعت الشكوى إلى أكبر سلطةٍ؛ وهو الخليفة الموحِّديّ من أجلِ رفع الإنزالِ عن دارها التي تسكنُها: "منزلك الرَّحب-لازال مقْصُودًا- وزاحمت فيه بعدَ وفودِ التَّهنئةِ وفودًا،... وحللت بوادي الكرَى..." [٧].

(١) عبدالعال، محمد سيد عليّ، شعر الطّبيعة النّجديَّة،467.

(٢) السَّابق ،٣٠٥/١.

(٣) شيحة، عبدالحميد، الوطن في الشّعر الأندلسي، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م، ٦٥.

(٤) يُنظر، باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ٥-٦.

(٥) يُنظر، نيل، عادل، جماليات النصّ السّرديّ: رؤية نقديَّة في أعمال أمين يوسف غراب، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٥م، ١٨٠.

(٦) يُنظر، باشلار، غاستون، جماليات المكان، ص ٥٦.

(٧) ابن أبي الخصال، رَسائِل ابن أبي الخصال، ص ٢٣٤.

Faculty of Arts, Arish University

يثني أسماء العامريَّة على داره الواسعة التي يقصدها النّاسُ، بسبب كرم صاحبها، ويربطها بذكر وادي الكرى الذي كنى به عن النَّومِ، ليدلَّ على مدى الرّاحة والاستقرار التي كان يعايشها، ومدى التّحولات التي لحقت به ليثير عواطف التّعاطف والفزع لنجدته وإنقاذه.

"دعاه إليكم من وطنه قدر يستفزّ ويستخفّ.... ولعلَّه يصادفُ كرامة منجدٍ، وإمامة مسجدٍ...ويستبدل جيرانًا بجوار، ودارا بدارٍ..." (١)، ونجد أيضًا قوله: "وقصد محلّكم الكريم عمَّر الله بالمسرَّاتِ أكنافه، وعمَّ بالمبرَّاتِ والبركاتِ أسماعه، يجيل في منزلكم فاتر قداحه..."، ويستمرُّ هكذا:"والذي يستمسكُ معظمكم بأسبابهِ، ويستمنح الوفر من بابه ضويعة بذكوان رشا رزقها بعيد، ووعدها وعيد، وعمرتها من جهة البادية الذين يعيثون في الأموال عيث السباع، ويعادون ضيفها بمباينة الطّباع..."، ومن أقواله اللافتة فيها: "وإن كان خامل المقدار ، فيرعى له قُرب الدَّار" ، ومن العبارات المؤثّرة: "وهو جار لي بيت بيت..." (٢). ويربط الخاصّ بالعامّ فيقول: "وذكر أنَّ مقرّ الوزارة العُظمى، لا ينحى مَن لاذَ بهِ، ولا يَظمَا..."، ويرى في ذلك كله أبوابًا للشّفاعة، ومنفذًا للاستنجادِ: "لعل الشفاعة تتقبل، فيكون حق المجاورة قد رعي ولم يهمل..." (٣)؛ لذا يستوجب كلّ ما مرَّ شفاعة الشّافعين، ونجدة المستنجدين:"لازال محل الوزارة قابلا شفاعة الشافع..." (٤).

- **المستَوَى الموضُوعيّ:** وواضحٌ من هذه الرّسالة أنَّ لها غرضًا عامًّا وآخر خاصًّا؛ لذا بدأها بفقرة مدحيَّة ودعائيَّة تمهيديَّة داخلَ رسالة الاستنجاد أو طلب الغَوثِ؛ يهدفُ في ذلك إلى تكريم المخاطَبين، وتمهيد قلوبهم قبل أن يعرض طلبه، أو يخبرهم بخبر.

يركّز المرسل على مواقف المخاطَبين ومواقعهم؛ فالمخاطَب شخصٌ كريمٌ؛ فهو في موقع السُّلطةِ؛ لكونهِ أميرًا، أوسلطانًا، أو كبيرًا من الكُبراء، وُصفت محلتُّه بـ"الكريم" وبأنَّ الله عزَّ وجلَّ عَمَّرَ أكنافهُ بالسُّرورِ؛ أي تمنَّي لهم زيادةً من النّعم ومزيدًا من الفرح لهم؛ ممَا يؤلّف القلوب، ويوحّد المشاعر.

- **المستَوَى الفنّيّ: وظيفة العبارة في الخطاب:** شحن الكاتبُ رسالته بكثيرٍ من الأدواتِ الفنّيَّة لتلميع صورة المتلقّي (التشريف والتبجيل) لرفع احتماليَّةِ الاستجابةِ؛ وجاءت صيغةُ الدُّعاء لتمنحَ النصَّ قدسيَّةً وصِدقًا أخلاقيًا؛ ثمَّ انتقل إلى تشبيهٍ، أو توقُّعٍ، ومنه إلى الطَّلب في العبارة الأخيرة "يجيل في منزلكم فاتر قداحه" التي توحي بتدفق النِّعَم والهدايا أو الإنصافَ من صواحب المنزلة.

- **السَّجْنُ قبر الدّنيا:**

تعدُّ تجربة السّجن من أشدّ التّجارب على النّفس الإنسانيَّة، وأمضّها، وهي محنةٌ لا تقلّ عن محنة المرض والأسر؛ لكونها تؤثّر على الحالات النَّفسيَّة والوجدانيَّة والرّوحيَّة للإنسانِ، وقد سبر كثيرٌ من الأندلسيّين هذه التَّجربة بعدما حاق بهم في ديارهم، وما دهاهم من مكر الأعداء، وغدرهم(٥)، وقد انعكس ذلك على كثير من شعر الأندلسيّين ورسائلهم، وقد التفتَ الباحثون إلى دراسة الخطاب الشّعريّ المتّصل بتجربة السّجن في الأندلس إبّان محنتهم(٦)، وقد سجّلت كتب التّاريخ والمجاميع ما حاق بهؤلاء المنكوبين من محن السّجنِ، والأسرِ، والحبس على يد أعدائهم(٧)؛ ممَّا أوجب دراستهُ.

ومن ثمَّ؛ فقد غدت مفردة السّجن من حقول المَكَان المخيفة في رَسائِل الإسْتِنْجَاد في النَّثْر الأَنْدَلُسِيّ السُّجون وأماكن الحبسِ والسّجن، من ذلك ما كتبه المنذر بن عبد الرّحمن الأوسط إلى أبيه عبد الرحمن، يستعطفُهُ، ويستلين قلبهُ، ليردَّه من ذلك المَكَان (السّجن) الذي وصفهُ بالمُوحش نفاهُ إليهِ تأديبًا لهُ على ما كانَ منهُ من سُوءِ تَصَرُّف، وكثرة إصغاء لأقوالِ الوُشاةِ، وتَشكِّي منهم إلى والدِهِ؛ حتَّى أضجرهُ فعلهُ؛ وفي هذا الكِتَابِ يقولُ، وقد أخذَ المنفى منه مأخذَه وأثَّر في نفسهِ وفكْرِهِ: "إنّي قد توحّشْت في هذا الموضِعِ توحُّشًا ما عليهِ من مزيدٍ، وعدمتُ فيه مَنْ كنتُ آنَسُ إليهِ، وأصبحتُ مسلوبَ العِزّ، فَقِيدَ الأمرِ والنّهيِ، فإنْ كان ذلك عِقابًا لذَنبٍ كبيرٍ ارتكبتُه، وعَلِمَهُ مولايَ، ولم أعلمْه فإنّي صابرٌ على تأديبه، ضارعٌ إليه في عَفْوه وصفحه:

وإنَّ أميرَ المُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالدَّهْرِ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ"(٨).

تؤكّد الرّسالةُ أنَّ السُّجون هي مأوى المجبوسين في هذه الأماكنِ الموحشة؛ لما يجدُ فيها هؤلاؤء المحبوسون من وحشةٍ وضيقٍ؛ لأنَّها تحول بينهم وبين ما كانوا يجدونه من راحة في بيوتهم، وأماكن إقامتهم، لاسيَّما إن كان هؤلاء المسجونون، أو أحدهم وزيرًا، أو أميرًا ذا حشمٍ، وخدمٍ، وله من الأصدقاء ما كان يأنسُ بهم.

---

(١) ابن خميس، أبو عبدالله بن عسكر وأبو بكر، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبدالله المرابط الترغي بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٥٦.

(٢) السابق، ص١٨٣.

(٣) السابق، نفسه.

(٤) السابق، نفسه.

(٥) البرزة، أحمد مختار، الأسر والسّجن في شعر العرب: تاريخ ودراسة،بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٥م، ٤٥٤.

(٦) عبدالقادر، بسيم عبدالعظيم، شعر الأسر والسّجن في الأندلس: القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٦م، ٤٥٤.

(٧) العابد، ورد، السجن والسجناء في الأندلس، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة عبدالحميد مهري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٨م، ٤٣.

(٨) ابن خميس، أبو عبدالله بن عسكر وأبو بكر أعلام مالقة، ٣/ ٥٧٥.

Faculty of Arts, Arish University

وفجأةً تمسي حياتهم جحيمًا؛ فينقطعون عن ذويهم، ويعانون الحرمان التّامّ؛ فيظلّ السّجين محرومًا ممَّا كان يتمتَّعُ بهِ قبل سجنِهِ من امتيازاتٍ، ومن هؤلاء الأمير المنذرُ ابن الخليفةِ، الذي حُبِس لأخطاءٍ فعلَها، وهو يبيِّن توحُّشهُ الكبيرَ، وفقده الأصحابَ، وانقطاعه عنِ الخلَّانِ، بسببِ ذلك الحبسِ الذي فُرِضَ عليهِ من قبل والدهِ؛ مِمَّا نتجَ عن ذلك فَقْدُه صلاحيَّة الأمر والنَّهيِ فيما كان يأمرُ وينهي.

وقد تضرَّعَ الأمير المنذرُ ابن الخليفةِ إلى سيّدهِ، ووالدهِ بالعفوِ والصَّفحِ؛ لسلبهِ حُريَّته التي كان يتمتَّع بها، فهو في ذلك المَكَان يطلب عفو والده عبدالرحمن الأوسط أمير المؤمنين وصاحب الخلافةِ؛ لأنَّه قد استوحش حين حبسهُ في سجنٍ انفراديّ، ليس عنده أحدٌ، وقد كان قبل ذلك يتمتَّع بسُلطةِ الأُمراءِ، وخدمة الخدمِ والحشَمِ، وما كان ذلك إلَّا بسببِ ذنبٍ فعلَهُ أغضبَ عليه والدَه، وحين عرفَ المنذر السَّببَ حين استدعاهُ والدهُ، وقرَّرهُ بما فعل عفَا عنهُ، والتزمَ المنذرُ بوصيَّةِ والدهِ، وكيف يتعاملُ مع النَّاسِ، فَحَسُنَ خلقُهُ، واستقامَ أمرهُ.

وإذا أجرينا مقارنةً بين هذه الرِّسَالة ورسالة ابن زيدون عن المَكَانِ بشكل واسع حين استعطف ابن جهور مبرّرًا له بقولهِ: "هل هَلْ أَنَا إِلَّا يدٌ أَدْمَاهَا سِوارُها ومَشرِفيّ أَلْصَقهُ بالأَرْضِ صَاقلُه... "[1].يبدو الفرقُ واضحًا، فابن زيدون قد عانى كثيرًا في البقاءِ في السَّجنِ ولاقى الذُّلّ والهوانَ مدَّةً أطولَ، وقد يكونُ سجنهُ مع السّجناءِ الآخرين وهو وزيرٌ، وقد لقي من شماتة الآخرين الكثير، وكذلك أحمد بن أبي جعفر بن عطيَّة لقي كثيرًا من الذُّلِّ والمهانةِ، وقد استعطفَ الخليفةَ كثيرًا؛ فلم يلتفتْ إليه؛ فكانَ مصيره محتومًا، وأمَّا المنذر بن عبدالرَّحمنِ؛ فكان سجنهُ انفراديًّا لأمدٍ محدودٍ؛ تأديبًا له، ومنح درسًا في الصَّبر في التَّعامل مع الرَّعية؛ حتَّى إذا ما أدرك السَّببَ رجعَ عن خطئِه، وعفَا عنه والدهُ.

وقد حقّقت تلك الرِّسَالةُ الإسْتِنْجَاديَّة هدفهَا الأسمى؛ إذ عفا السُّلطان عن ابنه الأمير المحبوسِ في مَكَان وَحدهُ؛ ليعرفَ قيمة النِّعمةِ التي أنعمَ الله بها عليهُ من الخدمِ والحشَمِ، إذ إنَّه لم يصبرْ قبلَها على أذَى النَّاسِ والتَّشكّي على والدهِ، فأراد والده تعليمه درسًا بسجنهِ مدَّةً منَ الزَّمَنِ وحيدًا؛ حتَّى اعتذر إلى والده، وعاد إلى خلقه الحسن، والصبر على أذى الناس، وحملتِ الرِّسَالةُ الأدبَ الكريمَ، والخُلقَ الرَّفيع في حُسن التَّعامل مع الوالدِ الخليفةِ؛ فجاءَ العفوُ مباشرةً، بعد الاعتذار، والاعترافِ بالخطأِ.

- **قلعة أيُّوب من الأمان للضّياع:**

تعدّ القلاع من الأماكن المغلقة شديدة التّأثير على أصحابها؛ لأنها حصنٌ يحميهم؛ لذا يتحوّل فقدها إلى مرارة قُصوى؛ إذ يتحوّل مكان الحماية إلى دار للفقد وموضع للعَدمِ.

ومن هذه القلَاع قلعة أيّوب تلك القَلعَة التي كانت في بلنسيَّة" تسمَّى قلعة أيُّوب، يقال إنَّ بانيها هو أيُّوب بن حبيب اللَّخميّ ابن أُخت موسى بن نصير؛ ولذلك انتسبت إليه. ومباني هذه البلدة منَ الطّين المجفَّف في الشّمسِ"[2].

وقد جاء مع ذكر المدن الثَّلاث المنكوبة في رسالة أبي عبدالرَّحمن بن طاهرٍ في رسالتهِ التي كتبَها إلى المعتصم بن صمادح على لسان المنصور عبدالعزيز بن أبي عامرٍ(حاكم بَلَنْسِيَّة) يقول:" وذلك أن فَرْذَلَنْد- وقمه الله - نزل على قلعة أيُّوب محاصرًا لمنْ فيها، ومغيرًا على نواحيها. بجموعٍ يضيقُ عنها الفَضاءُ، وتتساقطُ لملاحظتِهَا الأعضَاءَ..." [3] يتحدَّث الكاتبُ عن المَكَانِ؛ فيبدأ حديثه في رسالتهِ عن قلعة أيُّوب وفي إسْتِنْجَادهِ بالمعتصم، وذِكر ما حصلَ لها من حصارٍ وإغارةٍ من قبل فرذلندَ، الذي استهدفَ جميع أجزائِها بجيشٍ مهولٍ، يذهلُ العقلَ، وقدِ استهدفَ الإنسان والمَكَانَ معًا؛ فنال من كلّ ما كان فيها من خيراتٍ.

وهكذا استطاع الخطابُ الرّسائليّ الأندلسِيّ أن يكشف عمّا حاقَ بهذه القِلاع المحصَّنة، وتحوّلها من مصادر للأمن والأمان إلى رموز للضّياعِ والعَدمِ.

الخاتمةُ:

سعى هذا البحثُ إلى دِراسةِ ثيمة المكانِ في الخطابِ الرّسائليّ الأندلسِيّ؛ فقسّمه إلى مرتكزين؛ كما جرت دراسة المكان في الأبحاث الخاصَّة بالمكان في السّرد؛ لكون هذه الرّسائل لم تخلُ من نزعة سرديَّةٍ، وقصصيَّة؛ لذا كان المرتكزان هما: المكان المفتوح، والمكان المغلق، وقد انتهى البحث إلى مجموعة من النَّتائج هي:

١- سيطرتِ النّزعة القصَصيَّة السَّرْديَّة في خطابِ رسائلِ الاستنجادِ الأندلسيَّةِ، مع سيطرة الإيقاع السّريع لهذا السَّردِ المكثَّفِ الذي يحكي فترات الضّياعِ، والفقدِ، أكثر من الإحساس بالاستقرارِ.

٢- غدا المكان في الخطابِ الرّسائليّ الأندلسِيّ ذا قيم روحيَّةٍ، تمتزج بآمال الإنسانِ، وأحلامهِ، وذكرياتهِ، وأطلاله الجسديَّةِ والرّوحيَّة؛ ممَّا يجعل من المكان جسدًا، ومن الجسد مكانًا؛ وهو ما يجعل للإنسان، أيضًا، أطلالًا داخليَّة تربطه بماضيه، وحضوره، وفقده.

---

(١) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون معه رسائله وأخباره، ت (٤٦٣هـ)، شرح وتحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (د.ت)، ٢٣٥.

(٢) أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسيَّة، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي،٢٠١٧م،١١١.

(٣) ابن خاقان، (الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي الإشبيليّ ت٥٢٨هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١/ ١٧٤.

Faculty of Arts, Arish University

٣- تأتي قُرْطُبَة في المقام الأوّل يليها أشبيليَّة وغرناطة وبلنسيَّة وغيرها من المدن المنكوبة فضاءً مكانيًّا مفتوحًا في سيطرة ثيمة المكانِ في الخطابِ الرّسائليّ الأندلسِيّ لكونها حاضرة الإمارة الأُمويَّة، والخلافة الأَنْدَلُسِيَّة.
٤- تتضافر القيم الفنيَّة والموضوعيَّة في الخطابِ الرّسائليّ الأندلسِيّ لاستنهاض إخوانهم لنجدتهم، وإنقاذهم بإنقاذ أماكنهم، ومعاقل دينهم، ومهاد حضارتهم.
٥- استعان لسانُ الدّينِ بن الخطيبِ في الخطابِ الرّسائليّ الأندلسِيّ بمجموعةٍ من الصُّورِ البيانيَّةِ المتضافرةِ مع التَّلوينات البديعيَّة ليكثّف الخطابَ، ويبث فيه طاقات إيحائيَّة قادرة على الضّغط النّفسيّ، والوجدانيّ على المرسل إليه المستنجد بهِ.
٦- لاحظت أن كتَّاب الرّسائل يشبّهون بلنسيَّة بأنّها نجد الأندلس؛ نظرًا لمكانتها في جزيرة الأندلس؛ لذا يمزجون الخطابِ الرّسائليّ النّثريّ الأندلسِيّ بالشّعرِ الذي يتضافَرَ مع نسيج الخطابِ النّثريّ في رسائلهم؛ لكون هذا التّشبيه لبلنسيَّة بنجْدٍ يمثّل كثيرًا من الرُّموزِ التي تبعث على النّجدة، وتستحثّ المستنجد بهم للإغاثة والإنقاذ.
٧- يهدفُ الخطابُ الرّسائليّ الأندلسِيّ في معظمه إلى إعلام إخوانهم، وإلى الّتعبئةِ النّفسيَّة والدّينيَّة والوجدانيَّة والعربيَّة، مع التَّأكيد على قيمِ الفتحِ العربيّ، والدّينيّ، والسّياسيّ المنتظرِ لهذه المدنِ.
٨- يتّسمُ الخطابُ الرّسائليّ الأندلسِيّ فنيًّا، في معظمهِ، بجزالةِ الأساليبِ، مع كثرة المحسناتِ البديعيَّةِ، وبخاصَّة الازدواج، والسّجع، والجناسِ، مع كثرة الصُّور الفنيَّة بأنواعها، ولا سيّما الاستعاراتُ والكناياتُ، التي يبدع كُتّاب الرّسائل الاستنجاديَّةِ في توظيفها لخدمة الأغراض الدّعائيَّةِ والتَّحريضيَّةِ.
٩- يُمثّل المَكَان المغلق؛ كالدّار التي يسكنُ فيه الإنسانُ، ويحرص على بقائهِ فيها، ودوام حياته متّصلًا بمكوّناتها؛ لذا وجدت في رَسائِل الإسْتِنْجَاد الأندلسيَّة الاهتمام البالغَ بدور السَّكنِ، والاتّكاء عليها؛ بوصفها مكانًا حميما لاستنهاض الهمم، وحضّ المستنجد بهم.
١٠- يأتي السّجن ثاني الأماكن المغلقة في رسائلهم؛ إذ تعدُّ تجربة السّجن من أشدّ التّجارب على النّفس الإنسانيَّة، وأمضّها، وهي محنةٌ لا تقلّ عن محنة المرض والأسر؛ لكونها تؤثّر على الحالات النَّفسيَّة والوجدانيَّة والرّوحيَّة للإنسانِ، وقد سبر كثيرٌ من الأندلسيّين هذه التجربة بعدما حاق بهم في ديارهم، وما دهاهم من مكر الأعداء، وغدرهم.
١١- استطاع الخطابُ الرّسائليّ الأندلسِيّ أن يكشف عمّا حاقَ ببعض القِلاع المحصَّنة، وتحوّلها من مصادر للأمن والأمان إلى رموز للضّياعِ والعَدمِ.

المصادرُ والمراجعُ:

أوّلًا: المصادرُ:

التّلمسانيّ (أحمد بن محمد المقري ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيبِ، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م.
ابن خاقان،(الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي الإشبيليّ ت٥٢٨هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
ابن أبي الخصال، رَسائِل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر،١٩٨٨.
ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، لسان الدّين، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لذي الوزارتين، تحقيق: محمد عبدالله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.
ابن خميس، أبو عبدالله بن عسكر وأبو بكر، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق: عبدالله المرابط الترغي بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
ابن زيدون، ديوان ابن زيدون معه رسائله وأخباره، ت (٤٦٣هـ)، شرح وتحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (د.ت).

ثانيًا: المراجع:

أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسيَّة، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.
الأصبهانيّ (أبو بكر محمد بن داود ت ٢٩٦هـ أو ٢٩٧هـ)، الزهرة، تحقيق: إبراهيم السَّامرائيّ، ونوري القيسيّ، الأردن، مكتبة المنار، ط٢،١٩٨٥م.
باشلار، غاستون، جماليَّات المكان، ترجمة غالب هلسا، الطَّبعة الثَّانية، بيروت، المؤسسة الجامعة للدّراسات والنَّشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
البرزة، أحمد مختار، الأسر والسّجن في شعر العرب: تاريخ ودراسة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن،١٩٨٥م.
البكريّ الأندلسيّ (أبو عُبَيْد عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ)، مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه، وشرحه، وفهرسه: مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

Faculty of Arts, Arish University

بيرس، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: ملامحه، وموضوعاته الرئيسية وقيمته التّوثيقيَّة، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٨م .
- الجزيري، جمال، وظائف المكان وجمالياته في رواية فساد الأمكنة لصبري موسى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٢١م.
الشناوي، عليّ الغريب محمد، فنّ القصّ في النّثر الأندلسيّ، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م.
شيحة، عبدالحميد، الوطن في الشّعر الأندلسي، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م.
الطوانسيّ، شكري، البديع وفنونه: مقاربة نسقيَّة بنيويَّة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٨م.
عبَّاس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط، ١٩٧٨م.
عبد الجليل، حسني، أساليب الاستفهام في الشّعْر الجَاهِلِيّ، القاهرة، مؤسسة المختار،٢٠٠١م.
عبدالعال، محمد سيد عليّ، شعر الطّبيعة النّجديَّة (الأنساق الثّقافيَّة والتّشكيلات الجماليَّة)، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٢٠م.
عبدالغفار، هدى عطية، جماليات المكان في الشّعر المعاصر، قراءة ظاهراتيَّة تأويليّة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثّقافة، ٢٠١٤م.
عبدالقادر، بسيم عبدالعظيم، شعر الأسر والسّجن في الأندلس: القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٦م.
عمايرة، خليل، في التحليل اللغويّ: منهج وصفي تحليلي، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٧م.
القاعود، محمود حلمي، دراميَّة الشّعر الأندلسيّ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٢٣م.
مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن عشر، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكَّار، وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.
نيل، عادل، جماليات النصّ السّرديّ: رؤية نقديَّة في أعمال أمين يوسف غراب، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،٢٠١٥م.

ثالثًا: الرّسائل الجامعيَّة:

العابد، ورد، السجن والسجناء في الأندلس، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة عبدالحميد مهري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،٢٠١٨م.

Faculty of Arts, Arish University

Faculty of Arts, Arish University